الأقليمية الهدامة

●

س —١٥— لماذا يقولون اذن امة عراقية ، وامة مصرية ، وامة سورية وامة يمنية الخ ... حين الكلام على هذه الشعوب التي تسكن هذه الامصار ؟

ج — — ان مدلول كلمة « الامة » كما نفهمه اليوم ، لم يكن محدداً وواضحاً عند اجدادنا ، ولذلك اسباب ليس هنا موضع ذكرها . على انهم استعملوا هذه الكلمة لما قد يقرب مما نريده اليوم . وفي معاجم اللغة العربية : « الامة » : الجماعة من الناس والجيل . والقرن . واهل الزمان الواحد . وغير ذلك . وهذه التفاسير كلها ، لا تنطبق على ما نريد وما هو معروف بكلمة « الامة » عدا التفسير الاول : « الجماعة من الناس » شرط ان نُحدّد هذه الجماعة ، ونعرّفها تعريفاً جامعاً . وهي لم تكن كذلك عند اجدادنا ، ايام المدنية العربية الاولى ، اي قبل المسيح وبعده بقليل . ولا أيام المدنية العربية الثانية ، اي بعد الرسالة التي أداها الرسول العربي الامين ، على احسن وجه واكمله ، فاذا أضفنا

الى القول « الجماعة من الناس » قولنا : التي لها لغة واحدة وادب واحد، وثقافة واحدة ، وتاريخ واحد ، وذكريات وعادات وتقاليد واحدة ، والتي لها مميّزات خاصة ،تتميز بها مجتمعة ، عن غيرها من الجماعات ، التي تؤلف امماً لها كذلك مميزات خاصة ، بحيث لا يبقى ما يوحد بين هذه « الجماعة » وبين « جماعة » اخرى ، الا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة ،اذا فعلنا ذلك ،اصبح تفسيرنا كلمة : « الامة » بـ « الجماعة من الناس » تفسيراً علمياً صحيحاً ، وهو ما نريده ،ونأخذ به ونعوّل عليه . ولما ان اجدادنا حتى في ايام دولنا العربية الزاهرة ، وايام وحدة الدولة وعظمتها ، لم يكن تحديد « الامة » بهذا الشكل واضحاً لديهم[1] . كما سبق وقلنا ، اضطرب معنى كلمة «الامة» في نفوسهم . فحينما ضعف السلطان العربي[1] واخذ عمال الدولة على الاقطار العربية وغيرها ،ينسلخون عن

---

(١) ولا لدى غيرهم .

(١) لعل اول عامل حسّي من عوامل ضعف السلطان العربي لم يُتنبَّه له، هو ما قام به الخليفة محمد المعتصم اخو الامين والمأمون ، في غير سوء قصد كما نعتقد ، من تأليفه فرقاً من الاتراك وغيرهم من الاجانب ،ضمن ملاك الجيش العربي . وقد كان ذلك خلال سني خلافته اي من سنة ٨٣٣ الى سنة ٨٤٢ م . على ان عهد الانحلال في الامبراطورية العربية ، بدأ بعد الاضطرابات التي وقعت عقيب وفاة الخليفة ابي جعفر احمد ، الملقب بالمنتصر بالله ، وفي خلافة ابي العباس احمد ،الملقب بالمستعين بالله ، وذلك حوالي سنة ٨٦٢ م . ففي ذلك الحين كانت (الاسرة الطاهرية) قد استبدت في نيسابور ،حاضرة خُراسان ،

قاعدة الملك ، كل امير بقطر فيصبحون جميعهم ملوكا !!! وتصبح اقطارهم ، كل قطر دولة ، انقطعت الصلة ، أو كادت بين اهل كل قطر ، ومجموع الامة ، واقتضى الحال ، أن يكون لكل دولة « امة » تبرر وجودها ، وتستمد منها سلطتها ، وترتكز في حكمها عليها . وصادف هذا التفكك ، هوى في نفوس الطامعين من الاعاجم ومصلحة ، فشجعوه وعملوا على الزيادة فيه . وماشى هذه الدويلات عن قصد وعن غفلة رجـــال سياسة ، وأرباب أقلام ، لنزعة أقليمية غلبت عليهم ، كما يحدث في عهود الانحطاط والضعف . واستمرت النكبـة من يوم تفسخ الملك العربي ، في عهد الاسرة العباسية المالكة ، إلى الاستعمار التتري ، بعد استيلاء هولاكو ، حفيد جانكيز خان ، على بغداد ، وقتله المعتصم ، آخر خلفاء الاسرة العباسية سنة ١٢٥٨ م . وقيام دولة السلاجقة وغيرهم ، الى الاستعمار التركي سنة ١٥١٦ وما يليها الى اليوم . وفشى الجهل بتاريخ الامـة العربية والبلاد العربية ، فصاروا

بلاطا فخما ، لايقل عن بلاط بغداد فخامة وروعـة . وكان رأس الاسرة عبد الله بن طاهر احد عمال المعتصم على خراسان ، وقد توفي عبدالله هذا ، في خلافة المعتصم فخلفه ابنه طاهر ، وخلف هذا ابنه محمد . وزين السلطان لهـذه الاسرة ، ان تستقل فاستقلت ، منتهزة فرصة الفوضى التي غمرت الامبراطورية في عهد ابي العباس احمد المستعين بالله . وشجع استقلال هـذه الاسرة بقية الامراء على الاستقلال بولاياتهم عن عاصمة الملك ، فاستقلوا ، واصبحوا كأنهم اصحاب اقطاعات

يقولون في كثير من الغفلة ، وغير قليل من القصد : الامة العراقية ، والامة اليمنية ، والامة الحجازية ، والامة المصرية الخ ... وهكذا ، أصبحت الامة الواحدة امماً متعددة !!! على ان الوجدان العربي القومي بدأ يستيقظ في نفوس أفراد من العرب ، في اواخر القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين[1] في كل قطر مهدداً بالقضاء على الاقليمية ، فحمل هذا ، الاقليميين النفعيين الذين ذُعروا لهذه اليقظة ، على التذرع لابقاء هذا التفسخ ، وتقوية الاقليمية ، بشتى الوسائل : منها ما كشفت عنه تنقيبات بعض علماء الاثار في التراب وتحت التراب ، من بقايا الفرعونية[2] في

---

(١) تألفت سنة ١٨٧٥ م . في بيروت جمعية عربية سرية ، كان من اعضائها الدكتور فارس نمر والشيخ ابرهيم اليازجي . وكانت صرخة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي قد دوت من قبل في افاق العرب دوياً يهيب بهم الى استعادة تراثهم العظيم باعتبار انهم امة عظيمة مجيدة ، لهم كل عوامل الوحدة والتفوق . وفي سنة ١٩٠٤ اسس المرحوم السيد نجيب العازوري العربي اللبناني ، في باريس ، حزباً سياسياً باسم « عصبة الوطن العربي » . والف في سنة ١٩٠٥ كتاباً باسم « يقظة الامة العربية » ثم انشأ في سنة ١٩٠٧ مجلة باسم الاستقلال العربي بالفرنسية .

(٢) ما ننكر ان للفراعنة شأناً ، غير شأن الحثيين والكنعانيين والاشوريين والبابليين والكلدانيين وغيرهم من القبائل التي تعاقبت على (الشام) وغيره من الاقطار العربية ، من اقدم الازمنة حتى انقراض هذه القبائل او اندماجها . وانه قد كانت لهم مدنية مرموقة ، وحضارة من اقدم الحضارات ، وانهم برعوا براعة بيّنة في صناعات كثيرة ، في مقدمتها صناعة النحت وصناعة

جهة ، والفينيقية وغيرها في جهة أخرى، ومنها ما خلفته سياسة الاستعمار ،من افساد في اللسان وفي التقاليد وفي النفوس ،في كل جهة ، ولكن دون ان يجرأوا على القول (الامة الفرعونية . والامة الفينيقية .والامة البربرية و...الخ) . مكتفين بالاصرار على نسبة الناس . الى ارض قطرهم .فقالوا (الامة المصرية .والامة اللبنانية والامة المغربية أو التونسية والمراكشية والجزائرية وهكذا ... إيغالا في الاقليمية ، وإيثاراً للمنافع الفردية والمآرب الذاتية ، على منفعة المجموع ، ومصلحة الامة الحقيقية الكاملة[1] . ولولا ان يكون بين ذوي « الوعي القومي » من شبان العرب المثقفين في كل قطر ، من يدقق في هذه القضية ، ويسهر عليها ، لخشينا ان يجرنا التفسخ والجهل والغرض والغفلة الى القول بامة بغدادية وامة بصرية وامة دمشقية وامة حلبية وامة بيروتية أو زحلية ،وامة دمياطية أو صعيدية وهكذا ...

التحنيط وصناعة البناء . وانهم قد خلفوا من الاثار ما شغل الدنيا وادهشها بين العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، ولكن هذا كله كان محصورا في القبور وحول القبور وفوق القبور . فلم يورثوا لغة ولا ادبا ولا شريعة ولا فلسفة . وليس لهم في مصر ، ولا في غير مصر ، طابع فكري خاص ، او معنوي او خلقي أو روحي . وليس هناك تقاليد فرعونية ولا عادات ولا اداب ولا شرائع فرعونية . فالفراعنة من هذه الناحية مثل البابليين والاشوريين والكلدانيين وغيرهم من مثلهم لم يبق لهم من وجود .

(١) لسنا بناسين ولا متجاهلين ،ان هناك من يقول هذا بحسن نية وسير مع التيار من غير سوء قصد ولا رغبة في مغنم .

والحقيقة والواقع ، ان هؤلاء جميعاً مثل غيرهم من العرب ، في مختلف الاقطار والبقاع ،اجزاءمن « كل » هو « الامة العربية» لو عقلنا . الامة العربية المجيدة الخالدة التي لا تموت . بيد ان هؤلاء الذين يريـد « البعض » الانتساب اليهم ، وهم لا وجود لهم ، ولا لاثر منهم ، إلا في التراب أو تحت التراب ، قد اثبت التاريخ والعلم ،انهم من العرب ،كالفينيقيين، ولا نقول والفراعنة أيضاً ، لان الادلة التاريخية العلمية على عروبة هؤلاء ، لمّا تتوفر لدينا ،رغم ما يذهب اليـه بعض المؤرخين، ورجال العلم والرأي، ومن هؤلاء الاستاذ مكرم عبيد باشا [1] من ان الفراعنـــة من العرب . اما القول ان اهل هذا الساحل العربي اللبناني من بقايا الشعوب المنقرضة او من سلالة الشعوب المنقرضة ، فساقط من نفسه اذ كيف يكون للمنقرضين بقايا ...

---

(١) قام الاستاذ الكبير السيد مكرم عبيد باشا ، برحلة الى الديـار الشامية سنة ١٩٣١ م . فاستقبل في كل مكان حل فيه، استقبالا حافلا جدا ، وفي جملة المآدب التي اقيمت له ، مأدبة اقامها المثري الوجيه ، السيد عبد الله الريشاني ، في شتورة – لبنان – جمعت فريقاً كبيرا من رجال العرب في هذه الديار ، خطب فيها مؤلف هذا الكتاب ، وحمل في بعض عبارات من خطابه على الفكرة الشعوبية والاقليمية المتلبسة بالفرعونية في مصر ، وبالفينيقية في لبنان . فاجابه المحتفى به ، بخطاب طويل قيم، قلّل فيـه من شأن الفكرة الفرعونية والقائمين بها في مصر ، معلناً ان مصر عربية ، ثم قال ما معناه (ان الفراعنة انفسهم من العرب) .

الشعب عند العرب

●

ويجدر بنا في هذا الصدد ، ان نذكر كيف كان اجدادنا يفهمون كلمة « الشعب » ويحدّدونه ، مما يجهله ويالاسف الفريق الاكبر منا . قال صاحب «الكشّاف »: (الشعب عند العرب ملتقى الطبقات الست ، التي عليها العرب وهي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة) . فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الافخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل .) واعطى مثلا على ذلك فقال : (فخزيمة شعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصيّ بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .)

وإنه كما ترى لتقسيم بديع معقول .

وما دام في العرب غير « خزيمة » شعب ، ينقسم بدوره الى هذه الاقسام ، وما دامت كلمة « امة » لم يكن لها كما تقدم ذلك المدلول المحدّد الواضح ، الذي اصبح لها اليوم ، لكي يستعملها اجدادنا لما نريده تماماً ونستعملها له نحن اليوم ، وما دام القياس

يساعد ، مع قليل توسع ، على استعمالنا هذه اللفظة في الكلام على العرب مجتمعين ، لما اصبحت تدل عليه في القرن العشرين ، قرن القوميات ، فنكون على حق وعلى صواب ، اذا نحن قلنا اليوم : (ان ملتقى الطبقات « السبع » التي عليها العرب ، او « الاجزاء السبعة » — ونفضل كلمة اجزاء — هو « الامة » . وان الامة تجمع الشعوب ، كما يجمع الشعب القبائل ، وكما تجمع القبائل العمائر الى آخره) . ولا قيمة لما قد يقوله قائل معترضاً : (ان القبائل التي يجمعها عند العرب ، الشعب ، كانت كلها من دم واحد عربي ، وان شعوب هذه الاقطار ، التي تقولون انها تؤلف مجتمعة ، امة واحدة ، لتكون (الامة العربية) ملتقى هذه الشعوب ، ليست من دم واحد عربي) .

لا قيمة لمثل هذا القول ، ما دمنا لا ندّعي ان دمنا لم يختلط أبداً ، وما دام قد ثبت علمياً ان وحدة الدم والسلالة المطلقة — وان تكن قوة معدودة في بعض الحالات — ، ليست شرطاً ، لاتكون جماعة من الناس ، بدونه ، امة واحدة تامة . وان للامة الواحدة التامة عناصر تخلقها ، وقد توفرت هذه العناصر لشعوب الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، وخلقت منهم امة واحدة تامة ، كما اثبتنا ذلك في صفحات سابقة .

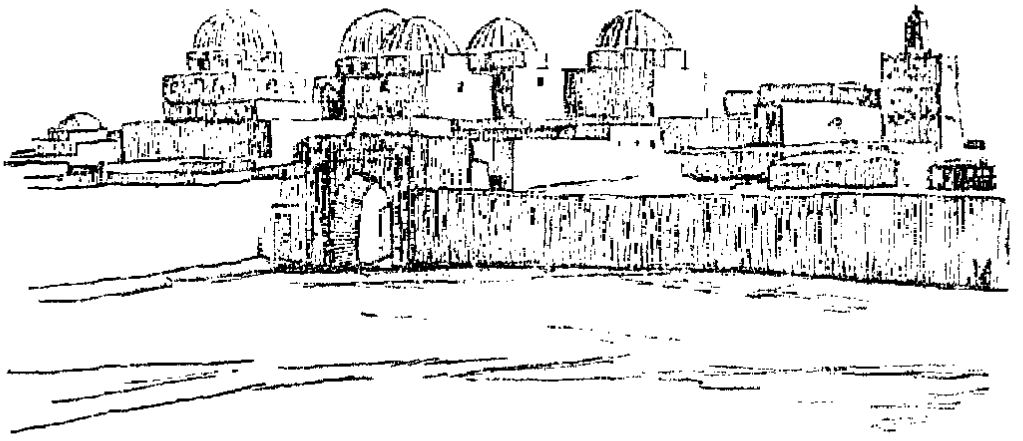

مسجد القيروان

أهل القطر الواحد

●

س — ١٦ — لقد التبس الامر ، فلماذا لا يمكن اعتبار العراقيين ، مثلا ، (امة) عراقية تامة ، ما دام ان الجماعة من الناس التي لها لغة واحدة وتاريخ واحد وادب واحد وذكريات ومصالح واحدة ، و ... الخ ... هي الجماعـــة ، التي يُطلق عليها اسم (امة) ، وهذا كله متوفر للعراقيين ، توفره لاهل القطر الواحد من الاقطار العربية الاخرى ، كالمصريين والشاميين وغيرهم ؟!

ج — — كلا . ان الامر لم يلتبس ، ولن يلتبس أبـــداً ، وهو واضح جد الوضوح ، فلنتذكر تحديد الامة ، ولنفكر تفكيراً واسعاً صحيحاً ، في اوضاع الامم ، يتبين لنا وجـــه الصواب والحقيقة . ولنأخذ من العرب اهل قطر واحـد ، العراقيين ،

مثلا ، ثم نقيس عليهم غيرهم ، ان العراقيين لهم شركاء في لغتهم وتاريخهم وادبهم وتقاليدهم ومصالحهم . وفي شعورهم وذكرياتهم وآمالهم ومطامحهم . وهم لايتميزون عن هؤلاء الشركاء، بميزات خاصة فارقة، ولاهؤلاء الشركاء، يتميزون عنهم بميزات خاصة فارقة ، بحيث لا يبقى ما يوحد بينهم جميعاً ، إلا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة ، فيصبح كل فريق امة تامة . فهؤلا الشركاء، هم اخوانهم وابناء اعمامهم من العرب في بقية الاقطار . فهم امة بالاضافة الى هؤلاء . كما ان هؤلاء من مصريين ويمنيين وشاميين — ولبنانيين طبعاً — وغيرهم من مثلهم ، امة بالاضافة كل فريق الى الآخر ، بحيث يكمّل كل فريق ، الفريق الاخر ، فيؤلفون بمجموعهم امة واحدة تامة .

الفروق بين قطر وقطر

س — ١٧ — ان بين الشعوب العربية فروقاً ظاهرة ، تقل وتكثر بالنظر الى كل قطر، ووضعه، ألا تكفي هذه الفروق، للاحتجاج بها ، على ان كل شعب منفصل عن الشعب الآخر نسباً وقومية ؟

ج — — ان بين هذه الشعوب فروقاً ظاهرة فعلًا ، ومع ذلك فهي تؤلف امة واحدة تامة ، ذلك لان هذه الفروق سطحية لا تأثير لها . وهي مسبّبة عن تفاوت في درجات الرقي علمياً واجتماعياً ، وليست مسببـــة عن اختلاف اصيل ، في الطبائع

والاخلاق، والعادات والتقاليد، والاحساسات العُنصرية ، التي يسِم بها كرّ الأجيال« الجماعة من الناس » بسِمَة امة ما ..ومن الجهل او سوء النية ، التمسك بهذه الفروق السطحية ، الى حد اتخاذها دليلاً على ان كل شعب، من هذه الشعوب، يؤلف بنفسه امة تامة. فهناك العلم، الذي اخذ ينتشر على اختلاف درجاته في مختلف صفوف الامة ، في جميع أقطارها وهو كفيل بمحو هذه الفروق، في قليل من السنين، على قدر ما تسمح به سُنة الكون ونُظُم التطور، وقابلية النفس والعقل ، لا سيما اذا توحّدت اهداف الثقافة ، وأحسن توجيه الناشئة العربية بالطرق الحديثة نحو المُثُل العليا [1]

ثم ان هذه الفروق نفسها ، نراها بين مدينة ومدينة ، وبين قرية وقرية من قطر واحد ، بل من مقاطعة واحدة . واكثر من ذلك ، اننا نرى هذه الفروق بين عائلة وعائلة، في قرية واحدة. بل نراها بين افراد العائلة نفسها، بمقدار ، بين الأب وبين أولاده واحفاده في الزمن الواحد . وستبقى فروق من هـــذا النوع

---

(١) اذا وحدت (الامم) العربية – وكان ينبغي ان يقال الشعوب العربية – ثقافتها واتخذت طرائق حديثة في البحث ، سبيلها الى هذا التوحيد استطاعت ان تقيم صرحاً عالياً، هو في رأيي الوسيلة لكل ما سواه من اسباب الوحدة التي لا سبيل لنا اليوم الى تصوير اشكالها ، والتي ستجيء مع ذلك نتيجة محتومة لوحدة الثقافة .

الدكتور حسين هيكل باشا

ضئيلة لا قيمة لها ، في كل امة ، بحكم هذه السُنة وهذه النُظم وهذه القابلية ، كما هو معروف ، منذ ان عُرف تاريخ البشر حتى اليوم . ولن تؤثر هذه الفروق في وحدة امة من امم الدنيا .

الشعور والآمال

تبقى قضية الشعور والآمال ، وهي قضية خطيرة جداً بين عوامل تكوين الامة الواحدة التامة ، لا يجوز ان ننساها او نغفلها ابدا .

قد نشعر ، ونحن عرب في مختلف امصارنا ، مع الفرس مثلاً ، والترك والفرنسيس والانكليز والالمان ، وغيرهم من الغرباء عنا ، فيما لو اصابتهم كارثة ما ، او اعتدى عليهم معتد اعتداء وحشياً ، وقد نتوجّع لهم ، فيكون شعورنا في هذه الحال ، شعوراً انسانياً محضاً ، يقوى ويضعف ، بالنسبة الى قوة العلاقات وضعفها ، وتقارب المصالح وتباعدها . اما شعورنا بعضنا نحو البعض الآخر ، ونعني شعور كل قطر من اقطارنا ، نحو القطر الآخر ، فهو شعور قومي محض . وقد لا نبالغ اذا قلنا انه صار شعوراً غريزياً ، يفيض عفواً من دون حساب ، ومن دون التفات الى مقاييس العلاقات والمصالح ، رغم ما قد يكون لهذه ، من مفعول باطني في الامر ، ولكنه مفعول ، لا يخطر لنا في بال عفواً . ثم انه يتجاوز حد الشعور ، وينطلق عملا من

الاعمال المحسوسة ، ضئيلاً كان أم كبيراً ، لاننا كالجسم الواحد بالرغم منا، مهما تكن الفروق القائمة بين اعضائه ، فهو يحس بالذي يصيب كل عضو ، من هذه الاعضاء ، و يدفع عنها كلها بنسبة مافيه من احساس وحيوية ومناعة . والامثلة على صحة هذا عندنا كثيرة نكتفي بذكر الاخيرة منها وهي :

اولا – ثورة العرب في طرابلس الغرب ، وفي مراكش ، وموقف كل قطر من الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، منها .

ثانياً – ثورة العرب في الديار الشامية وموقف كل قطر عربي منها .

ثالثاً – ثورة العرب في « فلسطين » بنوع خاص ، وموقف كل قطر عربي منها[1] ، ولو كان « الوعي القومي » مكتملا في نفوس العرب ، لما وقفت هذه الثورات ، عند الحد الذي وقفت عنده . وقد كان الناس في برّ الشام ، ايام سعد العظيم ، يتعصّبون لسعد والوفد ، بشكل قد يزيد عن تعصب المصريين الوفديين لهما ، وما كان ذلك إلا لاعتقادهم بان سعداً والوفد ، عرب ، انما يمثلون الفكرة العربية التحريرية الاستقلالية ، التي كانت تجمع بينهم وبين هؤلاء الناس في بر الشام ، كما تجمع بينهم وبين كل شعب

(١) حينما كتبنا هذا الكتاب لم تكن وقعت الحوادث التي عُرفت باسم ثورة في لبنان : حوادث تشرين الثاني ١٩٥٣ لذلك لم نذكرها في المتن . ونشير اليها الآن هنا على سبيل انها مثال جديد قريب من اللبنانيين ، الذين لن ينسوا موقف الاقطار العربية كلها منهم ومن حوادثهم المذكورة .

عربي ، في مختلف هذه الاقطار العربية . وما يزال الناس في بر الشام يتحمسون لحملة هـــذه الفكرة في مصر الغالية ، وفي كل مصر من امصار العرب ، الطامحة كلها الى التحرر والاستقلال .

النيل

الوعي القومي

•

س — ١٨ — ما معنى الوعي القومي ؟

ج — — معنى « الوعي القومي »، الشعور اليقظ القوي في نفس كل فرد[1] من افراد الامة بانه جزء من « كل » هو مجموع امته أو قومه ، وبان عليه واجباً نحو هذا « الكل » الذي هو جزء منه ،في مختلف ميادين الحياة،وشتى مقوّماتها ،وان هذا«القوم»، سواء اكان في الشرق أم في الغرب ، في الشمال أم في الجنوب، هو قوم واحد، لا تجعل منه الارض المُجزأة الى اقاليم متعددة اقواماً مختلفين .ونعني بالقوم ،غير الاسرة، والعائلة ، والعشيرة والقبيلة ،وغير الشعب . نعني بالقوم مجموع الامة ، على اختلاف منازلها الجغرافية ، وتباين مراكز العلم والثروة والنفوذ والجاه فيها . ونفهم باكثرية هـــذا القوم ، جماعات الفلاحين والعمال

(١) قد يتعذر ان يكون كل فرد على الاطلاق كذلك ، في ايـة امة من الامم ، ولكنه يكفي ان يتأصل في نفوس الكثرة كما نريد .

والصانعين . « الوعي القومي » هو شعور كل فرد ، بانه مظهر معنوي وادبي واجتماعي ومادي، من مظاهر قومه ، قومه الذي كونته اجيال متطاولة في التاريخ ، بكل ما فيهـــا من وجوه الحياة ،وسُنن الكون،بكل ما فيها من عوامل القوة والضعف، والعز والذل ، والغنى والفقر ، والعلم والجهـل ، والطموح والقناعة،والرضى والغضب، والكفاح والاستسلام ، والانتصار والانكسار . انه شعور كل فرد بان كل ما حصل عليه قومه في مطاوي الاجيال ، وما يحصلون عليه من عز ومجـد ، وشرف وعظمة ، هو عزه ومجده ، وشرفه وعظمته . وكل ما نزل بهذا القوم وما قد ينزل بهم ،من ضعف وفقر ، وانحطاط وشر،وذل هو ضعف وفقر وانحطاط وشر وذل له ، وان مفارح هـــذا القوم ومباهجهم ومفاخرهم ، هي مفارحه ومباهجه ومفاخره هو نفسه، وان مآسي هذا القوم والآمهم ،هي مآسيه وآلامه هو نفسه ، في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل . وان في انتقاص الاجنبي حقاً من حقوق قومه ، انتقاصاً لحقه هو نفسه. وبكلمة واحدة،ينبغي لنا ويتحتم علينا ، ان نفهم وأن نؤمن،بان«الوعي القومي » ، هو ان يشعر كل فرد من افراد الامـة : « القوم » في اعماق نفسه ،بما يشبه انه هو الامة وان الامة هو. فلا يرضى لفرد من افراد قومه ،ولا لجماعة منهم باستعباد، او بظلم،أو جهل و فقر ،أو ذل ، وانه يريد أن يسبق بقومه ، اقوام الدنيـــا كافة ، في ميادين المُثُل العليا،وان تغمر نفسه لذلك ، نشوة من

الطرب والفخر والكبرياء : (الكبرياء القومية) .

— هذا هو في نظرنا معنى الوعي القومي —

كيف يكتمل الوعي القومي

س — ١٩ — ما هي الوسائل ، لاكتمال « الوعي القومي » على هذا الوجه في نفوس العرب ؟

ج — — الوسائل كثيرة ، والاخذ بها يكون من طريقين ، طريق التطور العادي البطيء ، وطريق الوثب الاضطراري السريع ، ونحن الى هذا احوج . وفي رأس الوسائل التي يؤخذ بها من طريق الوثب ، الدعاية ، الدعاية ، الدعاية الصالحة المنظمة ، مع القضاء على الامية بصورة اجمالية ، من طريقي التطور والوثب معاً ، على ان يكون ذلك طبقاً لمناهج ونظم معينة ، تستهدف لها — مهما تنوعت الخطط — احياء الثقافة القومية وتوحيدها ، في مختلف الاقطار العربية ، وبالنظر الى مكاننا من القافلة العالمية ، التي تسير بسرعة الى اهدافها من الذروة ، ينبغي لنا ان يعمل للقضاء على الامية عندنا ، ولتوفير بقية الوسائل التي سنذكرها لاكتمال « الوعي القومي » في نفوسنا ، فريقان : الحكومات من جهة ، والاحزاب والجمعيات من جهة اخرى ، فتنشيء الحكومات ، اكثر ماتستطيع من المدارس الابتدائية العملية المجانية ، في المدن والقرى ، وفي منازل القبائل . وتقوم

الاحزاب[1] والجمعيات، بتأليف لجان، تدور بصورة دائمة مستمرة، على مختلف المقاطعات، تخصص لكل قرية في كل مقاطعة برهة من الزمن، لتعليم الاميين، ثم تنتقل الى قرية اخرى، ثم تعود الى هذه القرية، وهكذا دواليك. وتدور على مختلف مطارح القبائل ايضاً، على ان يكون في هذه الحالة مع اللجان، نفر من شبان البدو أنفسهم، وهو أمر ليس بعسير. وأكثر ما يوافق ان يكون العمل، في حلقات ليلية، تُعقد لهذا الغرض، مراعاة لحالة الفلاحين والعمال، الذين تضطرهم امورهم المعاشية، الى العمل في النهار، والذين يؤلفون مع البدو الاكثرية الساحقة في الأمة، وهم أشد أفرادها حاجة الى مثل هذا التدبير. وتتخذ الحكومات والاحزاب الترتيبات اللازمة لمثل هذا الامر، مسترشدة بوضع كل قطر، ومختلف حالاته. ففي الاقطار التي تكثر فيها البداوة، ينبغي أن تُراعى في طرق القضاء على الامية، مسألة انتقال القبيلة من مكان الى مكان، انتجاعاً للماء والكلأ، الى ان يتيسر لحكومات هذه الاقطار، حمل القبائل على الاستقرار، وتحضيرها بواسطة التعليم من جهة، وتيسير امر الفلاحة والزراعة لها، وتحبيبها اليها، من جهة اخرى. وفي وسع الحكومات العربية اذا هي شاءت، ان

(١) لعل من العقل والمصلحة ان يسيطر الان في بلاد العرب في مثل حالهم اليوم، والى حين، حزب واحد، قومي اصلاحي انشائي يفنى في الامة كما يفنى الصوفي في الله.

تضع نُظماً خاصة تعجل في استئصال البداوة والامية ، وتجعل من البادين اليوم ، فلاحين وعمالا مستنيرين ، يحوّلون اراضي هذه الأقطار الواسعة المترامية الاطراف ، الى حقول نضرة وبساتين مثمرة . ومن الضرورة في مكان عظيم جداً ، أن يكون التعليم عملياً بين البدو والفلاحين خاصة . فليس لدى الامة ، متسع لاضاعة الوقت ، بالسفسطات الكلامية ، والمطوّلات الصرفية والنحْوية وما شاكل . ان القافلة تسير بسرعة فمن الواجب المحتم ، ان يتعلم اخواننا هؤلاء مع تعلمهم القراءة والكتابة ، كيف يجب ان يفلحوا وان يبذروا البذور ، وان يغرسوا الاشجار ، وان يربّوا المواشي ، وذلك بالنظر الى موقع ارض كل فريق وتربتها ومناخها ، وان يتعلموا كيف يجب ان يعيشوا . نعم ، كيف يجب ان يلبسوا ، وان يأكلوا وان يشربوا وان يناموا ، وكيف يجب ان يتقوا الامراض ، وان يعاشروا بعضهم بعضاً ، ذلك كله ، على أساس من قواعد الصحة ، واحترام النفس . وأن يتعرّفوا الى حقوقهم وواجباتهم ، على أوسع وجه ممكن ، باعتبار ان كل واحد منهم ، انسان حر ، ووطني امين نافع . ولا بد في مثل هذه الحال ، من النظر في المسألة الاقطاعية ، ومعالجة أسباب الفقر ، باوسع اشكال الحزم والانصاف ، وبكلمة واحدة واضحة ، يجب علينا ، أن نحارب الجهل والمرض ، والفقر والظلم ، والذل ، محاربة منظمة ، مستمرة ، لا هوادة فيها ، ولا تردد ولا استثناء .

كتابة تاريخ الامة العربية : — ولا نقول تعليم تاريخ الامة العربية ، فان هذا التاريخ لم يُكتب بعد ، كما نريد ، وكما ينبغي ، أي بطريقة علمية حديثة وقومية خالصة . ثم تعليمه الناس ، مكتوباً بأسلوب واضح بسيط جداً ، يفهمه حتى الذين يكونون في حالة تعلم القراءة والكتابة من الصغار ، ومن الكبار الاميين ، ويجب ان يوضع لمثل هؤلاء ، واولئك ، في حكايات سهلة ، قصيرة ، جذّابة ، محبّبة الى نفوسهم . قلنا الصغار ونحن نعرف ما نقول ، ونعنيه ونُصرّ عليه ، فتعليمنا الصغار والكبار ، التاريخ العربي على هذا الشكل ، يجب ان يكون مقدماً ، على تعليمنا اياهم ، أيشي آخر في حالتنا الحاضرة . وهو على الشكل الذي نرتأيه ، سهل عليهم فهمه . مضمون في نفوسهم اثره ، مهما يكن من شأنهم . ومن المفيد جداً ، بل مما لا غنى عنه في نظرنا ، ان تكثر في التاريخ ، رسوم الوقائع والحوادث التاريخية : العلمية منها والادبية ، والعسكرية والسياسية ، والحربية والصناعية والزراعية ، وغير ذلك ، فان في هذه جميعها — ومن دون أن نستعير أو نزوّر — ما يمحو هذا الذل والازدراء بالنفس ، المستوليين على العربي ، ولا سيما على الفلاح والبدوي . وفيها ما يسمو بالنفوس العربية ، التي اضنكها الجهل والظلم والفقر ، عن مواطن الضعة والحقارة والوهن ، ويخلق فيها

إحساساً باطنياً عميقاً مُثيراً ، وشعوراً زاخراً ، عنيفاً مُهتاجاً بعظمة الاجداد ،وسمو نفوسهم ،وباذخ مجدهم ، وشديد صولتهم ، وعلو مكانتهم من الحضارة والعلم ،والسياسة والحرب ، وما يُشعرُ بتفوقهم في قيادة الجيوش ،وتدبير امور الرعية ، واستصلاح الناس ، ويبلغ صبرهم على المكاره والشدائد ، وشظف العيش من جهة ، ومبلغ ايغالهم في الترف ، والتفنن في الاناقة والزينة ووجوه العيش المهذب الرفيع الناعم ، من جهة أخرى . وفيها ما يثير الحنين الى هؤلاء الاجداد والحماسة لهم ،والمفاخرة باننا منهم والرغبة في الاقتداء بهم ، مع مراعاة العصر الذي نعيش فيه ومراعاة مقتضياته . وان هذه الحقائق مجلوة بصورة علمية ، واضحة بسيطة ،وبوجه قومي محض ،يكون من شأنها فوق ماتقدم ، ان تصل ماضينا بحاضرنا ، الامر ، الذي لا غنى عنه ، لأمة تريد النهوض بعد الكبوة ، وان تنعش الامل ، في صدر المثقّف والفلاح ،والعامل وغيرهم ، بمستقبل عظيم ، وتقوّي الرغبة عندهم في العمل لهذا المستقبل .

ولا يتوهّمن احد ،ان المقصود من هذا ، انما هو مجرد مفاخرة بالاجداد ، ومطاولة بالماضي القديم . لا . بل المقصود انما هو التدليل على ان الامة العربية ،التي ندعو الى الاتحاد باسمها ، والتعصب لها ، لها وحدها ، والى بعثها في صورة تتفق مع مقتضيات العلم والحضارة والقوة في القرن العشرين ، إنما هي امة عظيمة مجيدة شريفة ، محسنة الى الانسانية جمعاء ، وإنها من

الناحية العنصرية ،أمة متفوقة .فمن الخطـــأ – إن لم نقل من المروق – ان ينكرها او يتنكر لها من ابنائها انفسهم، اولئك الذين غرقوا في التمدن الغربي المعوج، في القرن العشرين ، الى آذانهم ، واعمت الدعـــاية الملتوية بصائرهم ، فبـاتوا وهم لا يعرفون عن امتهم شيئاً، ويجهلون عنها كل شيء ،والمقصود ان نفتح مسامع العرب عامة ،والفلاحين والعمال والبدو منهم خاصة ، وهؤلاء المتمدنين المتعلمين الجاهلين منا، بنوع آخص– وجهل المتعلم اشد انواع الجهل خطراً وأبعدها نكاية – المقصود ان نفتح مسامع هؤلاء جميعاً ، لصوت هذا المـاضي العظيم الحي ، المنبعث من جوانب الحياة العربية كافـة : من كتب التاريخ والعلم ، والادب ،والاخلاق، والاجتماع ، ومن آيات الحضارة والهدى والعـــدل ، التي ما تزال مضرب المثل ، ومن أسفار المعارك ، والفتوحات ، والغلبة والنصر ، ومن بقايا الجامعات والقصور ، وآثار السدود والحصون ،ومن معالم الفن، وقباب المعابد ، ومن دفقات الانهار، واصطخاب البحار ، ومن القبور الدارسة ،والقبور الماثلة ، من سماء هذا الوطن العربي وارضه ، عسى ان يسمعوا فيشعروا فيستيقظوا ، فيطمحوا ، فيهبوا الى الجهاد ، ويعملوا فوق ما عمل الاجداد .

الوسيلة الثالثة

السينما : عرض هذا التاريخ بواسطة (سينما) على الجماهير

العربية ، في المدن والقرى، وفي منازل القبـائل ، في روايات تجسم محاسن الامة ومآثرها ، ومفاخرها ومجادها ، وفروسيتها وبطولتها ، وانتصارات جيوشها . وتمثل حضارتها ومدنيتها ، وما افادت من العلم والعمل، في الصناعة والزراعة والفن . وتمثل أبّهة الأسر المالكة فيها وتواضعها ، وسموها ووداعتها، وكرمها وحلمها ، وعدلها وعطفها ، وشدتها ولينها . ولهذه المناسبة نذكر على سبيل المثال ، حادثة وقعت منذ بضع سنين ، في « شرق الاردن » : (ان للشيخ فوّاد الخطيب رواية اسمها « فتـــح الاندلس » قام بتمثيلها ذات مساء ، لفيف من شبان العرب، في عمان . وكان بين الذين شهدوا تمثيل الرواية ، فريق من البدو، في مقدمتهم، نفر من سادات قبائل « شرق الاردن » فأخذتهم الدهشة مما رأوا من مظاهر القوة في اجدادهم ، ومن الفروسية والبطولة ، ومن آيات المدنية والعظمـة ، ومن وجوه الثروة والزخرف، وترف العيش . ثم استولت عليهم نشوة من الزهو والطرب والكبرياء ، فما شعر الحضور إلا وأيدي هؤلاء السادة على مقابض سيوفهم العربية ، يدقّون برؤوسها مغمدة ، أرض القاعة ويهتفون ، ويصيحون عالياً ، وما ان انتهى التمثيل وانفرط عقـد المجتمعـين ، حتى هرعوا إلى الشيخ فؤاد فحبسوه في حلقة ضيقة منهم ، واخذوا يسألونه بلهفة عما فعل الدهر بهذه الامة ، ثم يقولون ، اهكذا كنا ، أأولئك آباؤنا واجدادنا ؟!

وكانت في عمان قضية — نضرب صفحاً عن ذكرها هنا — يتنازع من اجلها فريقان ، احدهما الفريق الذي كانوا يسمونه « الوطنيين » وهم الذين يشتغلون للاستقلال والوحدة ، وبنيان مستقبل يفوق ذلك الماضي ، وكثرتهم يومذاك — ان لم نقل كلهم — من رجال العرب غير الاردنيين ، وكان هؤلاء السادة من زعماء البدو، وهم من ذوي الشأن في شرق الاردن، حائرين: أفي جانب فريق الوطنيين يقفون ،أم في جانب الفريق الاخر ، وهذا الفريق الآخر من ذوي السلطة وأرباب الحكم ؟! فما أن تنفس صبح تلك الليلة، حتى سارع الذين ايقظت رواية « فتح الاندلس » في نفوسهم دم العزة والنخوة والقومية ، الى فريق الوطنيين ، واعلنوهم وقوفهم في جانبهم !!

لقد حدّد لهم « فتح الاندلس » في ليلة واحدة ، موقفهم . لقد رفعت صفحة واحـــدة ، من صفحات تاريخهم ، نفوسهم ، فانقذت شرفهم ، وسمعتهم ، ونفعت بهم قومهم .

الوسيلة الرابعة

الخطب والمحاضرات :— اختيار الحكومات والاحزاب فريقاً من المحاضرين والخطباء المقتدرين المؤمنين، يدورون على مختلف المدن والقرى ، والمخيمات، كاللجان التعليمية ، ويعنون بنوع خاص بالفلاحين والعمال والبدو، يلقون عليهم المحاضرات

والخطب، بلغة بسيطة سهلة مفهومة من الجميع محصورة مواضيعها فيما يلي :

اولا — تاريخ الامة العربية .

ثانياً — ربط ماضي الامة بحاضرها ومستقبلها .

ثالثاً — واجب الفرد نحو امته ، وحقه في الحياة .

رابعاً — الحياة الاجتماعية .

خامساً — الحياة الزراعية وقيمة الفلاح العارف واجبه .

سادساً — الحياة البيتية .

سابعاً — المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، وعلاقة كل منهما بالاخرى .

ثامناً — حق الرعية على الدولة ، وحق الدولة على الرعية .

تاسعاً — الغرور القومي ، والحقد القومي .

عاشراً — ما ينتظر العرب جميعاً ، من القوة والعز ، وراحة العيش ، إذا هم اتحدوا وتثقفوا ، وما إلى ذلك من مواضيع ، على ان تساق هـــذه المحاضرات والخطب ، سياقاً يضمن في الدرجة الاولى رفع مستوى الفلاح[1] الاجتماعي والمادي والادبي ، فيفهم ليس فقط كيف يستنبت ارضه ، ويستغلها ، باكثر ما يمكن وأحسنه من الطرق الحديثة ، بل يفهم أيضاً — وهذا أمر كبير الأهمية جداً — انه يستطيع أن يعيش ، ويحق له ، ويجب عليه

(١) الفلاح والعـامل والصانع والبدوي ، ونكتفي بذكر الفلاح باعتبار انه يمثلهم بصورة اجمالية جميعاً .

أن يعيش ، عيشاً نظيفاً مرتباً محترماً نافعاً . سياقاً يهذب في نفسه حاسة الذوق ، ويرقيها ، ويُشعره انه ليس كميـــة مهملة محتقرة ، ولا عوداً منبوذاً ، ملقى على الطريق ، بل هو غصن حي قوي، في شجرة عالية ، عظيمة جبارة ، تختال باغصانها — وهو أحد هذه الأغصان — قوة وزهواً وازدهاراً . وانه ذو «شخصية» يشعر بها ، ويجب عليه أن يحترمها ، لكي يحترمها الغير . فشعور الانسان « بشخصيته » واحترامه هـذه الشخصية ، أول شرط من شروط انطباع الفضائل في نفسه ، وفهمه المصلحـة العامة ، وقيامه بواجبه نحو المجتمع القومي ، الذي يعيش فيـه ، ثم نحو المجتمع البشري عامة . ويضمن في الدرجة الثانية خلق الثقة في نفوس أفراد الأمـة ، بعضهم في البعض الآخر ، وخلق حس باطني عندهم بانهم ، مع كون كل واحد منهم « شخصية » متميزة عن « شخصية » أخيـه ، فانما هم كاوراق الكتاب — إذا صح هذا التشبيه — منفصلة كل واحـــدة منها عن الاخرى ، متصلة بها ، اتصالا محكماً مستمراً . ومتى تم هـذا ، مشينا الى الامام ، بخطوات سريعة واسعة ثابتة الى غايتنا البعيدة العليا .

الوسيلة الخامسة

الاندية : تنظيم الشباب العربي من ذكور واناث ، وانشاء اندية لهم ، في المدن وفي القرى ، ذات نظم معيّنة ، يضمن تطبيقها مع ما سبق من الوسائل ، خلق رأي عام موزون ، في العرب ،

ويحدد اتجاهات هـذا الرأي ، في مختلف المناسبات والحوادث الخطيرة ، من دون تردد ، ولا ترجرج ولا حـيرة . ويكون لكل ناد ،مكتبة وراديو وملعب ،على ان ترتبط هـذه الاندية في كل قطر ، بمرجع واحد ، وتجري عليها كلها مراقبة واحدة عامة . ويتفرع منها فروع للصغار ،يندمجون في عضويتها حينما يبلغ الواحد منهم السادسة من عمره ،تحت ادارة لجنة مختصة. ويحسُن ان تشرف على سير هذه الاندية ، الحكومات العربية متفقة ، إن أمكن ، وإلا فيشرف عليها بعض هذه الحكومات ، أو احداها ، أو هيئة ترضاها هذه الحكومات ، أو أكثريتها ، أو أقليّتها ، أو احداها .....

الوسيلة السادسة

العمل الجبري والحكومات : فرض العمل الجبري للمصلحة العامة ، ويكون ذلك باصدار الحكومات العربية قانوناً خاصاً بالعمل ، يفرض على كل من يبلغ السنة الثانية عشرة فما فوق ـ إلى سن محددة ـ ان يؤدي خدمة عملية لبلاده ، في خلال مدّة معيّنة . وينبغي ان يكون الذين يتمتعون بثروة او نفوذ اوجاه في مقدّمة الذين يطبق عليهم هذا القانون ، ليصدر العمل عن شعور بالمساواة التامة في الواجب القومي ، ورغبـة وسرور في الخدمة العامة ،وبحماسة واندفاع ،فيتألف من هؤلاء جميعاً ، جيش

لا يستهان به ، يُلقّن بصورة حماسية منظّمة ، تلقيناً دورياً مرتباً ، انه إنما يعمل ، لشرف بلاده ، الذي هو شرفه ، ومنفعة بلاده التي هي منفعته .

فيصبح كل فرد ، يزاحم أخاه بلذة ومباهاة ، في هذا العمل الانشائي القومي العام ، أما هذا العمل الجبري فيُصرف :

اولا — في تعليم الاميين وتثقيفهم ، اينما وجدوا ، وبنوع خاص في القرى والمزارع .

ثانياً — في انشاء الطرق العامة وتعبيدها ، وغرس الاشجار على جوانبها ، في المدن والقرى والمزارع .

ثالثاً — في بناء السدود والجسور ، واصلاح مجاري المياه .

رابعاً — في انشاء المباني والملاعب والحدائق العامة .

خامساً — في التحريش والعناية بالغابات .

سادساً — في مساعدة الفلاحين على ترتيب حقولهم وتنظيفها من الاشواك ، والنباتات الضارة بالزرع والأغراس ، ومساعدتهم في الزرع وفي الحصاد ، الى آخر ماهنالك ، من مثل هذه الأعمال العمرانية ، والزراعية ، ونستطيع القول والاجتماعية أيضاً ، لأن اجتماع مثل هذا الجيش من مختلف الطبقات ، وتنقله من مكان ، إلى مكان ، في مختلف مناطق البلاد ، حسب ما تدعو اليه الحاجة في كل منطقة ، مدرسة اجتماعية جزيلة النفع ، عظيمة

الاثر في النفوس[1] . وغنيّ عن البيان، ان هذا الذي ذكرناه بشأن اكتمال « الوعي القومي » يجب أن يسري على الفتيان والفتيات معاً، على اساس القابلية والاستطاعة. ولا نكتم اعتقادنا ان عشر نساء مثقفات ، يكتمل في نفوسهن «الوعي القومي » ، يستطعن أن يصلحن في الأمة ، ويرفعن من نفوس أفرادها ، ويدفعنها الى السمو والطموح ، اكثر من ماية رجل يكتمل في نفوسهم هذا الوعي .

وان القوميين العرب المؤمنين ، من شبان وشابات قلوا أم كثروا ، في كل قطر من الاقطار العربيـــة ، لمستعدون استعداداً تاماً للاخذ بهذه الوسائل ، والمساعدة على الأخذ بها ـ على قدر ما يتيسر لهم ـ في ايمان وعـــلم ، وحماسة ولذة وانشراح . وهناك وسيلة أخرى قد تبدو غير ذات شأن ، ولكنها في الواقع ذات شأن كبير ، والذين يعرفون شيئاً من علم الاجتماع وعلم النفس يشعرون شعوراً صادقاً ، بل يعتقدون اعتقاداً صحيحاً مُثبتاً بالتجارب، باهمية هـذه الوسيلة ، ومدى تأثيرها في النفوس ، وهي : (تغيير الاسماء الاعجمية واتخـاذ اسماء عربية بدلا منها ، يُصار الى ذلك بواسطة قانون ، تضعه الحكومات لهـذا الغرض .) ويشمل ذلك اسماء الاشخاص ،

---

(١) لقد لجأت حكومات في الغرب الى مثل هذه التدابير فأتت بنتائج باهرة .

والارضين والجبال،والسهول والاودية . والانهار والبحيرات، والمدن والقرى والمزارع ، والشوارع والمحلات ، وكلما يقع تحت الحس . هـذه هي الوسائل ، في نظرنا لاكتمال « الوعي القومي » ، بالمعنى المُتواضَع عليه اليوم ، في نفوس العرب ، وعلى الوجه الذي بيناه . وقد يكون هناك وسائل يكشف عنها الشروع في التنفيذ ، الواحدة بعد الاخرى ، فتأخذ بهـا الحكومات والاحزاب معاً .

س ـ ١٩ ـ ان هـذه الوسائل اذا عُمل بها تكون مضمونة النتيجة عظيمة الفائدة من غير شك، ولكن التوسل بها يقتضي كثيراً من المال فمن اين يؤتى بالمال ؟

ج ـ . . . . . .

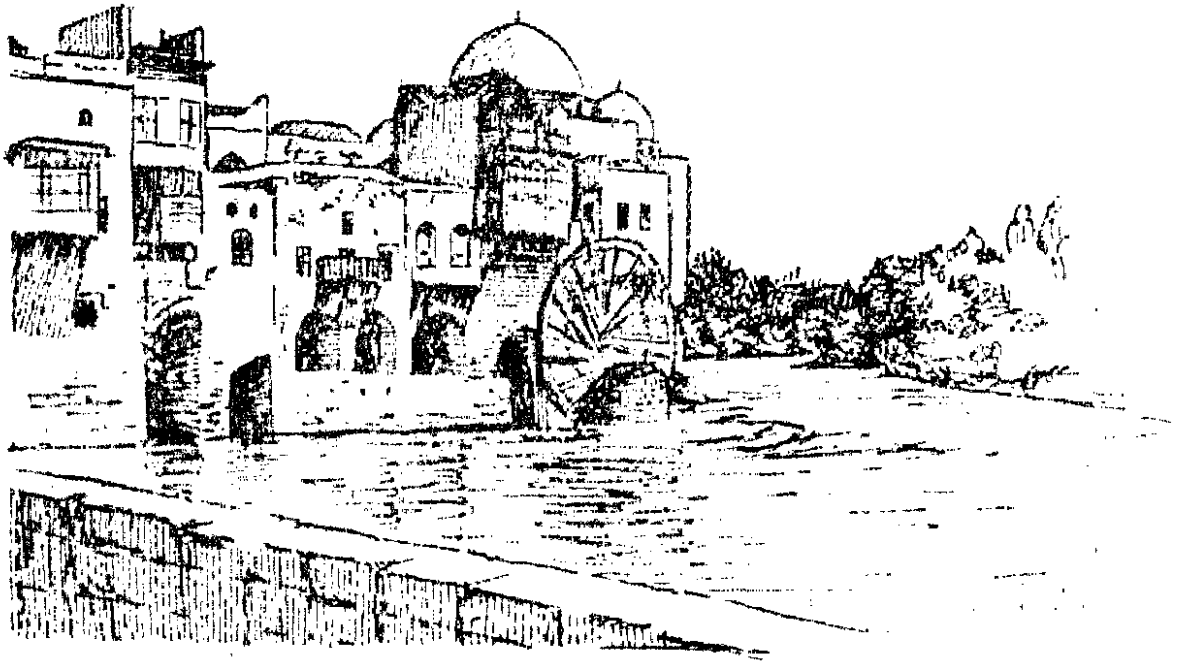

احدى نواعير حماه

تاريخ العرب والحكومات العربية

●

س ـ ٢٠ ـ من هو الذي يجب ان يتولى كتابة تاريخ الامة العربية؟

ج ـ ـ لا يمكن لفرد، ان يقوم بمثل هذا العمل الخطير كما نتصوره، وكما يجب ان يكون ، ولا بد من تأليف لجنة من العرب الصُرحاء لهذا الغرض . وفي رأينا ، أنه من الضروري جداً ان يشترك في هذه اللجنة أشخاص من مختلف الاقطار العربية ، يكون بينهم بعض السيدات المثقفات . على أن تؤلف اللجنة ـ على وجه التقريب ـ كما يلي : ثلاثة من السياسيين القوميين يدركون أسرار السياسة ، ومدى أغراضها البعيدة . وثلاثة من علماء النفس والتاريخ والاجتماع . وثلاثة من علماء الآثار . واثنين من علماء اللغة . وثلاثة من فحول الادباء الواسعي الاطلاع على ثقافات عديدة . وثلاثة من القواد والخبراء العسكريين . واثنين من مهندسي البناء . واثنين من المهندسين الزراعيين . وثلاثة من الفنانين المثقفين النابغين ، في الرسم والنحت والموسيقى ، او اكثر من ذلك أو أقل ، ويكون لهم معاونون ومستشارون اذا

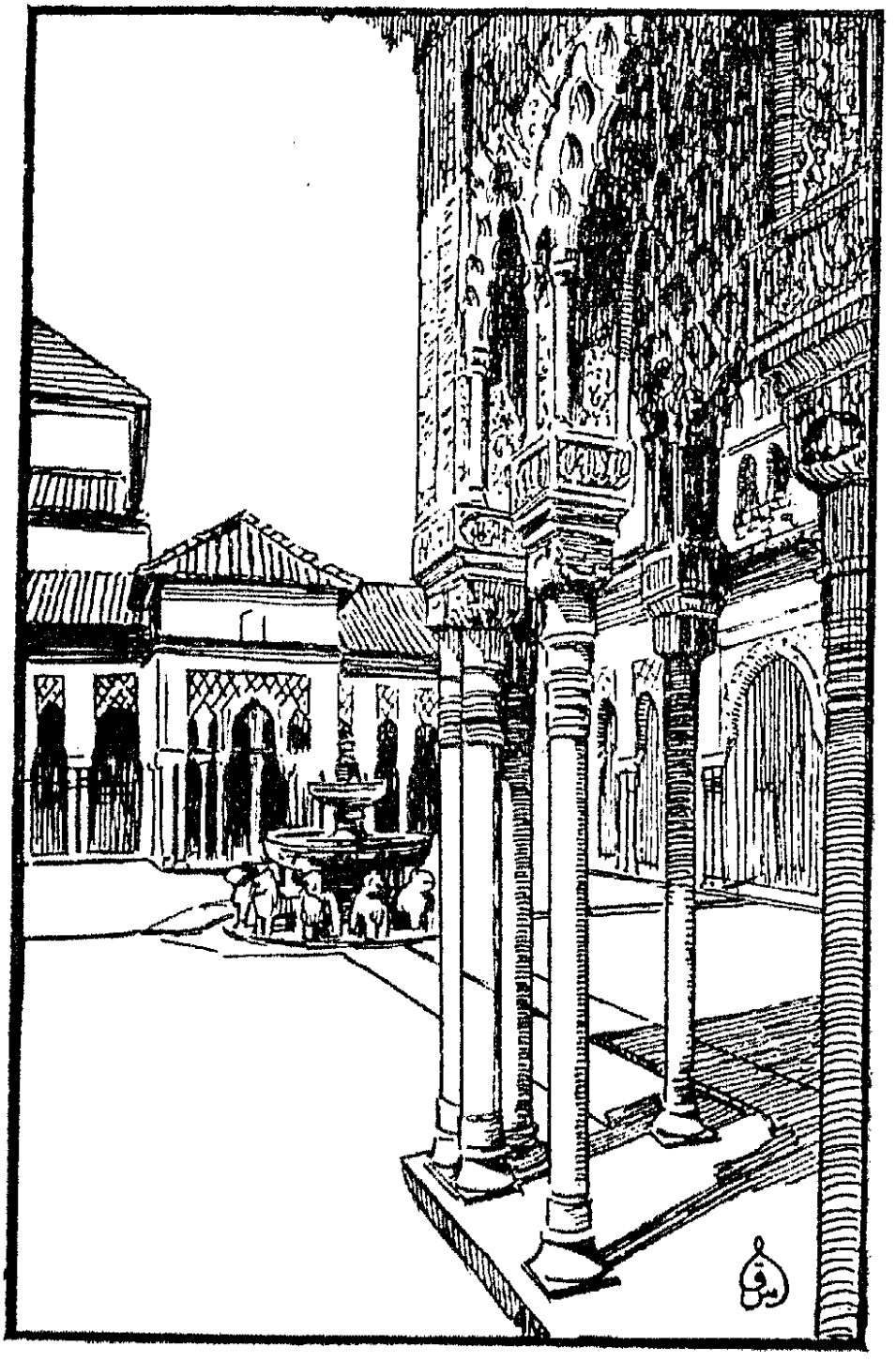

ساحة الاسود بقصر الحمراء في غرناطة الاندلس

اقتضى الامر، على قدر ما تقضي به الحاجة الى اتقـــان العمل، وإخراجه أقرب ما يكون الى الكمال .

ويجب ان يجتمع لدى اللجنة، أفضل وأصح ما كُتب باللغة العربية، وغيرها من اللغات الحية، من كتب تاريخ الامة العربية، منذ ان عرف التاريخ العرب حتى يوم الناس هذا . وعلى اللجنة ان تطوف، او يطوف فريق منها بالاقطار العربية كافة، وبالبلدان التي فتحها العرب، واستوطنوها مئات السنين، ولم تبق عربية، كأسبانيا، والبورتغال، وفرنسا، وايطاليا، وسويسرا. ثم كبلاد فارس « إيران » وافغان، وتركيا، والهند، وسائر البلدان التي بسط العرب سلطانهم عليها، ونشروا الحضارة والعدل والهدى فيها، كثيراً أو قليـــلا من الزمن . وذلك للبحث والتنقيب والاستطلاع، واستنطاق الآثار، فأن للمشاهدة روعـــة في النفس وأثراً، لا يتفقان للمطالعة أو السماع أو التصوّر .

وبعد أن تفرغ اللجنة من عملها هذا العظيم، تتألف لجنة جديدة، اقلّ عدداً، أو يُقتصر على نفر من اللجنة نفسها يعتبر لجنة جديدة، تستخرج من التاريخ العربي القومي العـــام : التاريخ القومي العربي القصصي المصور، تضعـــه في حكايات صغيرة مصورة، بلغة سهلة واضحة، واسلوب جذّاب، يُحبّب إلى النفوس، يوضع بين أيدي التلامذة والطلاب، حلقـــات متسلسلة، ويُعتمد عليه في تعليم الأميين أيضاً .

س ـ ٢١ ـ إن هذا العمل وحده عمل ضخم جداً يقتضي كثيراً من

النفقات ، فمن أين يؤتى بالمال للانفاق عليه ، ومن يتولى عملية الانفاق ؟!

ج ـ ـ لقد عدنا إلى قضية المال .... وإنها في الواقع لقضية عسيرة ، بالنظر الى تمنع الكثيرين وخصوصاً الأغنياء ـ إلا أقلّهم ـ عن البذل في سبيل المصالح العامة ، على أننا سنجيب هنا عن هذا السؤال من دون تردد وفي صراحة ، إن هذا العمل الضخم الجليل ، من أقوى الأركان التي قررنا ان « الوعي القومي » يكتمل بواسطتها ، ولا يقدر العرب ، ان يربحوا قضيتهم كاملة ، ما لم يكتمل هذا الوعي في نفوسهم ، وفي ذلك مصلحة للوطن العربي كله ، لكل قطر من أقطاره على السواء . فالجواب الذي يتبادر الى الذهن ، أنه من المفروض إذن ، ان يؤتى بالمال من الحكومات العربية كافة ، كل حكومة بالنسبة إلى ميزانيتها ، وأن تتولى عملية الانفاق على العمل لجنة مؤلفة من وزراء المالية والداخلية والخارجية في هذه الحكومات. ولقد كان هذا الجواب يكون معقولا ومضبوطاً ، لو كانت هذه الحكومات متساوية في فهم قضية العرب ، ومصلحة الوطن العربي والرغبة فيها والعمل لها .

اما ونحن نعلم ان الحال ليست كذلك ، وياللاسف ، فيجب أن نجابه المسألة بصراحة وحزم ، ومنطق صحيح ، ليكون جوابنا جوابا يرضاه العقل ، ويقتنع به ، ويُقره « الوجدان القومي » ويرفعُ الصوت من اجله ، فلا يرى لاصحاب الشأن

في الامر، عذراً في الانصراف عن تطبيق ما فيه . وعلى هذا نقول : ان بين الحكومات العربية القائمة حكومتين اثنتين ـ مع احترامنا لهذه الحكومات كافة ـ من المفروض ان يخولها واقع الحال ، حق الادعاء انهما تفهمان القضية العربية ،ومصلحة الوطن العربي ، وترغبان في هذه المصلحة وتعملان لهـــا ، أو تستطيعان العمل لها، اكثر من غيرهما[1] لاسباب ، منها: الوضع السياسي والوضع العسكري، والوضع المالي والوضع الثقافي ، وكل واحدة من هاتين الحكومتين تدعي في الوقت نفسه أو تضمر ـ على الاقل ـ الدعوى ، بانها زعيمة الوطن العربي . وهاتان الحكومتان هما: (حكومة العراق وحكومة مصر). وهناك حكومة ثالثة يدّعي لها ـ بعضهم ـ انها هي زعيمة هذا الوطن . ولكننا في بحثنا هـذا نقرر حقائق واقعية ونحكّم العقل والعلم ومصلحـــة العرب ، وليس هوى النفس، ومجرد

---

(١) قد تكون الحكومات العربية كلها تفهم القضية العربية ومصلحة الوطن العربي ، ولكنّا اشترطنا مع الفهم ، الرغبة في العمل والقدرة عليه ، ولعل هناك قطرا بعينه اختصرت هذه القضية في نفسه اكثر من اختارها في نفس اي قطر آخر ، وهو يرغب في « ربحها » اكثر من أي قطر آخر ولكن ظروفه دون ظروف غيره ملائمة وموآتاة . ولِمَ لا نقول انه . . . .

حاشية : كتبنا هذا الكتاب يوم لم يكن هناك « جامعة دول عربية » ولم نحب ان نغير فيه شيئاً ليبقى صورة صحيحة ناطقة لما كان يخالج عقلنا وفكرنا ونفسنا يوم كتبناه .

العاطفة . لذلك نقصر الكلام في هذا الصدد الآن ، على هاتين الحكومتين ، حكومة العراق ، وحكومـــة مصر ، حتى اذا تحقق الامل فيهما أو في إحداهما ،وبدأتاأوبدأت احداهما السعي الجدي، لتحقيق هذا العمل القومي العظيم ،فلايطول الامر، حتى تساهم بقية الحكومات في العمل ، وإلا اساءت الى نفسها ، وكان للعرب معها شأن ...

قلنا ان الحكومتين العربيتين الوحيدتين اللتين يخولهما الواقع اليوم ، حق الادعاء ، أنهما تعملان لمصلحة الوطن العربي ، أو تستطيعان العمل لهذه المصلحة ، هما الحكومة العراقية والحكومة المصرية ، وان كلا من هاتين الحكومتين ، تدّعي أو تُضمر الدعوى ،أنها زعيمة هذا الوطن كله ،ونحن لا يُطربنا ولا يُرضي مطامحنا القومية ، مثل أن تصح هذه الدعوى وتثبت ، ويُصر صاحبهاعليها حتى النهاية، لما ينشأعن ذلك ،من حقوق وواجبات ، تترتب لهذا الوطن على صاحب هذه الدعوى ، ولصاحب هـذه الدعوى على هذا الوطن . وعلى هذا ، فان هـاتين الحكومتين العراقية والمصرية ، هما الحكومتان اللتان يجب أن تشرعـــا في استعمال الوسائل التي تكلمنا عليها ، وتأليف اللجنة التي قلنـا بضرورة تأليفها ، وبأسرع ما يمكن ، لكتابة التاريـخ العربي القومي ، وأن تنفقا عليها ، وتشرفا على اعمالها ،وتقدّما لها كل ما تحتاجه، لأتمام هذا العمل الضخم الجليل المثمر ،من مساعـدات مادية وأدبية على اختلاف أنواعها . واذا فعلتا ، ونرجو ان

تفعلا ، فان بقية الحكومات لا غنى لها عندئذ ، عن المساهمة في العمل على قدر استطاعتها .

فائدة كل قطر

وغنيّ عن البيان ، ما يستفيده كل قطر من الاقطار العربية كافة ، من هذا العمل ، من دون أن يتعرّض ، أيّ قطر ، لأيّ ضرر ، من أية ناحية . لا سيما ، وسيكون من دستور عمل اللجنة ، إبراز فضائل كل قطر ، ومجاده العلمية والفنية والسياسية والحربية ، ومبلغ ما بذله من جهود في تكوين الفضائل العربية العامة ، والامجاد العربية العامة ، وفي تكوين الملك العربي القديم الباذخ الضخم ، المحسن الى الحضارة العالمية ، والى العنصر البشري كافة . وسيكون من دستور اللجنة أيضاً — طبعاً — الكياسة في الكلام على هذه الاقطار كلها ، قبل الفتح العربي الاخير الكبير ، وفي اثنائه وبعده ، حرصاً على العواطف وتمكيناً لاواصر القربى القومية ، على ان يكون ذلك في اتساق وانسجام ، يضمنان المحافظة الدقيقة ، على سلامة الضوابط القومية العامة .

س — ٢٢ — أيمكن أن تستقل الحكومتان المصرية والعراقية بهذا العمل ؟

ج — — لو كانت الحكومات العربية تشترك كلها ، دفعة واحدة ، في هذا الامر وتتعاون عليه ، لكان ذلك افضل

واجدى، اما وهذا ليس ممكناً الآن ـ وليتنا نكون مخطئين ـ فلم يبق ، إلا ان تستقل الحكومتان العراقية والمصرية بالعمل في باديء الامر . نعم ، لم يبق إلا أن تعمل هاتان الحكومتان ، منفردتين متفقتين، بهـــذه الوسائل التي ذكرناها ، بالنظر الى أسباب اوردنا بعضها . ومن البديهي القول ، انـــه يجب ان يتعاون معها الاحزاب والافراد ـ ولا سيما الاغنياء ـ في البذل بواسطة التبرعات والاشتراكات الشهرية أو السنوية . فاذا لم يندفع الافراد والاحزاب ، ولاسيما الاغنياء، الى القيام بواجبهم حقّ للحكومـة، بل وجب عليها ، أن تدفعهم هي دفعاً . واذا كان لبقية الحكومات العربية، شيء من العذر اليوم ، في الاحجام عن مثل هذا العمل ، فان الحكومتين المصرية والعراقية ينقطع لديهما، كل عذر إذا هما احجمتا عنه .

على ان هذا ، لا يعني، أن هاتين الحكومتين، ليس من الواجب عليهما مكاشفة بقية الحكومات بهذا الامر ، وبغيره من الامور التي تُفضي إلى استكمال « الوعي القومي » وإنشاء الكيـــان العربي الموحد، أو الاتحاد العربي ، بل يعني، انهما، سواء ارضيت هذه الحكومات الشقيقات، بمشاركتهما الآن في العمل ، أم لم ترض ، يجب عليهما، ان تشرعا في العمل وتمضيا فيه حتى النهاية. وما نشك ، في انهما ملاقيتان في الشعوب العربية كافة ـ الامة العربية ـ التأييد والمعونة، بتحمس واندفاع وعرفان للجميل ، عدا الحب والطاعة والاجـــلال . فاذا هما لم تتفقا على ذلك

ـ لا سمح الله ـ يصبح من الواجب المحتم ، على حكومة بعينها ، من هاتين الحكومتين ، أن تشرع في العمل وتمضي فيه تدريجياً ، بالاتفاق مع رجالات العرب المؤمنين المخلصين ، ايـــنما كانوا ، وبالطرق التي يُتفق على انها اكثر ملائمـــة وجدوى ، وهذه الحكومة هي الاكثر دعوى لزعامة الوطن العربي ، والاكثر احتكاكا في هذا العهد بالشعوب العربية ، والاكثر تمثيلاً للحضارة العربية والامجاد العربية[1] .

(١) اية حكومة هي هذه الحكومة ؟ هل من يعرفها ، هل تعرف نفسها؟

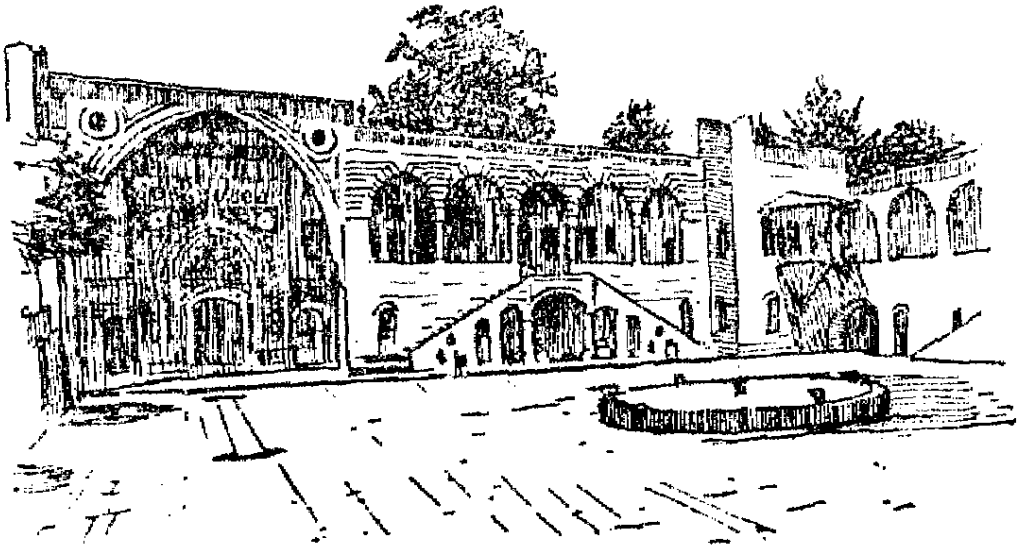

قصر بيت الدين ـ لبنان

نظريات

●

إننا نعلم أن بين الذين سيطّلعون على كتابنا هذا ، اناساً سيقولون (إنها نظريات جميلة، ولكنّها على كل حال نظريات..) يريدون بذلك، ان هذا الذي نفكر فيه، وندعو إلى العمل به ، لا كتمال « الوعي القومي » ، في نفوس العرب ، وبالتالي ليصير في استطاعتهم، انشاء كيان لهم قومي قوي اسوة ببقية الامم الحية المحترمة ، ذات الوزن في حياة العالم ، إنما هو مجرد خيال لا يمكن تحقيقه عملياً ، فالعرب دون أن يحققوا مثل هذا الامر الخطير ، وهؤلاء الناس فريقان — فريق متخدّر الشعور ساقط الهمة سادر مستهتر ، الحياة عنده محصورة ضمن نطاق من المادة، وقل البهيمية إن شئت ، يكاد لا يتعـــدّى الأكل والشرب واللبس والنوم وشيئاً آخر .... ولا يتصل بمعنى من معـاني السمو ، والمثل العليا ، وهذا لا شأن لنا معه ، وفريق مثقف ، راجح العقل، سامي الهدف ، شديد العناية بقضية العرب، مخلص

لها ، ولكنه متشائم، متشائم لكثرة ما منيت به هذه القضية، من النكبات والخسران ، ولقلة ما يراه في أهلها والعاملين لها من ذوي العزم والتضحية والثبات، فالى هـــذا الفريق الكريم ، سواء أكان على خطأ أم على صواب ، نسوق كلمـــة في « النظريات » .

ان كل عمل، تحقق في هذه الحياة ، منذ ان عرف العلم تاريخ البشر، فيما نعلم ، حتى الان ، كان (نظرياً) قبل ان يصبـــح عملياً ملموساً. وكل أمر، ما دام على الألسنة وعلى الورق ، فهو « نظري » الى ان يُتاح له أولو عزم ، وتتهيأ له الأحوال ، فما هي إلا برهة من الزمن، حتى يصبح عملياً ملموساً ، يسيراً خطبه، هيناً شأنه . وعندنا ان النظري المطلق ، إنمـا هو الشيء الذي لا يمكن تطبيقه في حال . فمن ذا الذي يتحمل من العرب ، تبعة الجهر باستحالة تطبيق « نظرياتنا هذه » ؟!

قد يكونون على صواب، إذا هم لم يتعدوا القول، بان ما نفكر فيه، وندعو الى العمل به ، أمرٌ صعب جداً ، فنقول لهم عندئذ ، ما قاله شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء منذ اكثر من الف سنة .

واني رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

ولهذه المناسبة ، نحب ان نسأل الذين لا يرون رأينا من أهل العلم والعقل ، والكرامة والاخلاص ، عما كان يمكن أن

يقولوه في هذه الاختراعات التي نراها ونلمسها اليوم ، فيما لو تكلم عليها احد من الناس منذ ٥٠ سنة أو أكثر أو أقل ، كالطيّارة مثلاً والغوّاصة والراديو وما الى ذلك [١] . وان نذكر لهم على سبيل المثال ، أن الغوّاصة هذه التي أصبحت عاملاً قويا ، من عوامل تثبيت دولة وتهديم دولة ، والتي يتحدّث عنها الناس اليوم ، اكثر من تحدّثهم عن شؤونهم الخاصة ، كانت شيئاً « نظرياً » في رأس كاتب قصصي فرنسي مشهور . فما أتذكر أين عثرت في بعض مطالعاتي ، بأنه في سنة ١٨٦٥ الّف الكاتب القصصي الفرنسي (جويل فرن) قصة عنوانها فيما أذكر ، (عشرون الف فرسخ تحت البحر) تخيّل فيها مركباً يسير تحت المياه ، يرى ولا يُرى ، ولم تمض برهة من الزمن ، حتى تحقق خيال هذا الرجل ، وأصبح الشيء « النظري » عملياً ملموساً : غواصة تحمل الموت والحياة .

وبعد هذا وذاك ، فاننا نكتب الى أمة تدّعي انها تنشد الحياة بل « تنشيء الحياة [٢] » واكثر ما تظهر دعواها هذه على ألسنة المثقفين ، وأقلامهم ، من رجال المنابر والاقلام والسياسة ، ومن رجال الحل والربط والسلطان . . . من ابنائها انفسهم ، امة شديدة الحيوية ، كما نعتقد ، فيها سر من اسرار العبقرية ، دلّت عليه فيما عبر

---

(١) لم تكن الطاقة الذرية قد عرف امرها يوم الفنا هذا الكتاب .

(٢) امة تنشيء الحياة وتبني كبناء الابوّة الامجاد
« شوقي »

من الزمان ، بما اتته من عظيم الأعمال ، وحققته من واسع الفتوحات ، في يسير من الزمن ، وبما نشرته من علم وحضارة ، ومدنية ، وهدى ، وحرية ورخاء. وتدلل عليه اليوم في محنتها ، باحتفاظها بلغتها وادابها وتقاليدها وكثير من خاصياتها ، وبما يكمن فيها من حيوية ومناعة ، حالتا دون تلاشيها ، رغم ما نزل بها من كوارث ونكبات . ورغم هذه المئات من السنين التي مرت عليها ، وهي تتناوشها أيدي الفاتحين والمستعمرين من جهة ، وايدي المفسدين المجرمين المارقين ، من ابنائها انفسهم من جهة أخرى ، توغل في النكاية بهـا وفي تمزيق اوصالها ، وإفساد أخلاقها ، وتحكيم الفقر والجهل والتفسخ في مواطنها ، وقطع الصلة قطعاً تاماً ـ لو تستطيع ـ بينها وبين ماضيها مما لو وقع مثله لغيرها من الامم ، لاندثرت ولم يبق لها من اثر .

اننا نكتب الى أمة بدأت تشعر بوجودها ، بعد طويل غفلة . وتدرك عظم الخسارة التي مُنيت بها ، ومُني بها العالم كله ، منذ أن خبت انوار العلم ، والحضارة ، والمجد في ربوعها ، وهوى عرش دولتها وسلطانها ، ثم أخذت تتحفز للوثوب من جـــديد وثبة ، نرجو ان تدلل بها ، على انها ما تزال خليقة بتراثها المجيد ، وانها قادرة على تحقيق هـــذه « النظريات » فلا تنفك عن معالجة قضيتها ، حتى تستقيم هـذه القضية كما ينبغي وكما تريد ، أو تبيد . ولن تبيد .

تحديد قضية العرب

●

س ـ ٢٣ ـ ما هي قضيـــة العرب . وكيف نحددها ؟

ج ـ ـ لقد كتب في « قضية العرب » فريق غـــير قليل من الناس، بلغات مختلفة، وهي وان تكن واضحة ، ما تحتاج الى كبير عنـــاء ، ليفهمها من يريد ان يفهم القضايا الحق ، فاننا ما نزال نسمع حتى الآن، ناساً، الغريب ان بعضهم من العرب انفسهم يسألون : اما هي قضية العرب ؟ وماندري ، أعن جهل منهم بهذه القضية، أم عن تجاهل ومروق واستخفاف يسألون ؟! ومهما يكن من أمر ، فاننا سنجيب عن هذا السؤال ، ونحـدّد هذه القضية تحديداً واضحاً من وجوهها المختلفة ، لن يبقى معه « قاضٍ » منصف، في الدنيا كلها ، إلا « ويحكم » بانهـا قضية حق ولن يبقى عربي في الدنيا كلها ، إلا ويعمل ليربـح قومه هذه القضية ، إلا أن يكون متّهما في نسبه، أو في عقـله وفهمه ، أو في كرامة نفسه .

إن قضية العرب هي قضية تراث مجيد ضخم[1]، كانت تستفيد منه امم الدنيا كلها ، وليس العرب وحدهم ، وسلب الاعاجم العرب هذا التراث بمساعدة فئة من العرب ، سمّاها خائنة ان شئت ، أو ضعيفة أو جاهلة أو ما تشاء . ويريد العرب ، استرداد هذا التراث . سلب الاعاجم الامة العربية ما سلبوها ، في غفلة من الزمن ، أو من الامة نفسها ، وانقضى على هذا عهد طويل جداً ، وأصحاب الحق في هذا التراث ، لا يسألون عنه ، لأن الذين سلبوهم إياه ، كانوا يخدّرون اصحابه بانواع المخدرات جميعها ، ويحتاطون من بعيد ومن قريب ، لاستمرار مفعول هذه المخدرات بمختلف الوسائل والأساليب ، لكي لا يستيقظ أصحاب هذا الارث يوماً ، ويشعروا بعظم خسارتهم ، فيندفعوا الى العمل لاستعادة تراثهم هذا ، من أيدي الغاصبين . ولكن العرب ، أحفاد اولئك الذين خلّفوا هذا التراث ، قد استفاقوا بعد مئات السنين ، لسوء حظ الغاصبين وشركائهم ، وبدأوا يشعرون بما يجب ان يكون لهم من وزن في هذه الحياة الدنيا ، وبحقهم في تراثهم القديم المضاع ، وواجبهم في العمل لاسترداده ، واحيائه ، وانمائه .

أما هذا التراث المجيد الضخم ، فهو تراث من العلم

---

(١) يلاحظ القارىء اننا لا نؤرخ للقضية ، وانما نشرحها لنقرّبها الى افهام الذين لم يتيسر لهم ان يفهموها حتى الان ، ولا ان يعرفوا كيف يفهمها ، لعلهم بعد هذا يفهمونها فيطمئنون فيؤمنون . واذا ما عرضنا للتاريخ في سياق الكلام ، فانما لهذا الغرض نعرض له .

والحضارة والمدنية . ومن الاخلاق . ومن الثراء . ومن الوحدة في الثقافة ، وفي الارض، وفي الاهداف . ومن القوة والمجد . المجد بشتّى وجوهه وصوره، المجد العلمي والمجد الأدبي، والمجد الحربي والمجد السياسي. هو مجموعة من الفضائل القومية والعظائم. ومن عناصر التفوّق والسمو ، روحياً ومادياً . والعرب — وقد استيقظوا وتنبّهوا — يريدون استرداد هذا كله ، واحياءه ، وانماءه ، والتمتع به ، ونفع الناس بما فيه من حسنات ومن خيرات .

« هذه هي قضية العرب »

وحينما نعمل لاستعادة هذا التراث ، من بين شدقي الدهر ، وتعهده ، والسهر عليه، لينمو ويبقى، خدمة لقومنا، وأقوام الدنيا كافة ، نقول (إننا نعمل لقضية العرب) وهذا صحيح ، كما انه حق وعدل . ولذلك نعمل لكي يتحد العرب ويتحرروا ويستقلوا ، إذ انهم ، لا يمكن أن يستعيدوا تراثهم ، اذا هم لم يتحدوا، ولم يتحرروا، ولم يستقلوا .

وبكلمة موجزة جامعة واضحة نقول: (ان قضية العرب هي قضية انشاء دولة عربية واحدة ، او حكومات عربية متحدة ، يخضع لسلطانها الاعلى، المستمد منها كلها، بواسطة مجلس يمثلها ، العرب في مختلف اقطارهم ، ليتمكن العرب من ان يستردوا حقهم المغصوب المضاع، اي تراثهم الذي ذكرناه ، وان يحيوه

ويزيدوا فيه ، وينتفعوا ، وينفعوا الانسانية به . وبهذا فقط، تكون الامة العربية، قدظفرت بحقها،وربحت قضيتها ، ويعود العرب سيرتهم الاولى، مع مراعاة مقتضيات العصر، وكل عصر . هذه هي :

« قضية العرب »

. وما ان يربح العرب قضيتهم القومية ، حتى تبدأ في نظرهم « القضية الانسانية »التي يريدون ان يساهموا في خدمتها ، في قوة وصدق واخلاص — على غير ما يفعله كثير من الامم القوية المدعية خدمة الانسانية — وذلك ضمن نطاق الممكن ، المعقول، وعلى اساس صالح من النُظُم العادلة.

ويكون العرب ، غير جديرين بحمل اسم اسلافهم العظام ، حتى وغير جديرين بالحياة ، اذا هم لم يبذلوا الجهود والاموال والارواح، لكي يربحوا قضيتهم هذه، فيشغلوا المكانة التي تليق بهم في هذه الحياة،والتي تتفق مع جلال ماضيهم ، واتساع وطنهم وغنى ارضهم ، ومركز بلادهم وكثرة عددهم [1] ، وما يفرضه الطموح البشري،في الاحياء فعلا ، من رغبة في العلو، والتفوق

(١) يجعل بعض الاحصائيين عدد نفوس الامة العربية، خمسين مليوناً ، ويرفع بعضهم العدد الى سبعين مليوناً . وليس لدينا احصاء رسمي دقيق، لنفوس كل قطر من الاقطار العربية ، على ان الاقرب الى الحقيقة فيما نرجح هو ما يقوله بعضهم، من ان العدد يتراوح بين الستين والسبعين مليوناً من النفوس .

ضمن دائرة، تتسع لحريات كل قوم وحقوقه وامجاده.

وانها لقضية حق ، كما ترى ، وانهـــا من حيث الاساس والجوهر ، لقضية بسيطة غير معقدة ، وواضحة لا لبس فيها ولا ابهام ، لا سيما، والعرب يحددون هذه القضية على اساس الحق القومي وحده ، تحديداً صحيحاً عادلا ، لا يتجاوز الارض العربية ولا الشعوب العربية . فهم لا يطمعون بالتوسع، ولا يطمحون الى حكم غير العرب ، ففي ارضهم متسع لهم وغنى ، وفي عددهم وفرة لهم وقوى . ولكنهم لن يرضوا بعد اليوم ، بان يكون شبر واحد، من الارض العربية ، داخلا في « ممتلكات » دولة اجنبية . ولا ان يكون لاجنبي واحد سلطان في بلاد عربية .

هذا هو المبدأ ، أو المذهب اذا شئت « Doctrine » الذي يعمل أحرار العرب القوميون ، على أساسه . قلوا أم كثروا ، ويرون لأقوام الدنيا كافة ، من الحق في العمل على هذا الأساس ، ما يرونه لانفسهم ، مع تبادل المنافع واحترام المصالح المشتركة فيما بينهم ، معتقدين باخلاص ، انه من أفضل الوسائل ، لوضع حد للاطماع الجارفة ، والشهوات الجامحة ، أو للتخفيف على الاقل ، من ويلات هذه الاطماع ، والشهوات ونكباتها ، على العالم كافة .

تحديد الكيان العربي

س — ٢٤ — ما هو شكل الكيان العربي القومي الموحد المستقل الذي يكثر احرار العرب القوميون من ذكره والدعوة اليه؟

ج — — يظهر من خلال هذا السؤال ، اثر الشكوك والمخاوف التي ينشرها « بعضهم » في الناس لمحاربة « قضية العرب » حين يقولون: ان هؤلاء الدعاة ،ناس خياليون ، متطرفون متعصبون ، فكيف يمكن ان تتحد الاقطار العربية وتستقل وهي :

اولا — مجزأة الى ممالك ودول متعددة ، فكيف يرضى الملك الفلاني ، أو الامير الفلاني ،أو الرئيس الفلاني ، بهذه الوحدة التي تستدعي انهيار عرش وزوال سلطان .

ثانياً — انها مفصول كل جزء منهـا عن الآخر ، بمسافات شاسعة وفلوات قاحلة .

ثالثاً — انها متفاوتة الدرجات في الرقي العلمي والاجتماعي ، مختلفة ألوان الثقافة والتربية ، هذا عدا ما لدول اجنبية ، من سلطان على بعضها .

أما الاعتراض الثالث ، فقد اجبنا عنه في غير مكان من هذا الكتاب[1] ، وأما الاعتراض الثاني ، فنجيب عنه بقولنا : ان هذه البلاد المفصول كل جزء منهـا عن الاخر ، بمسافات شاسعة وغير ذلك ، قد توحدت يوم كانت وسائل المواصلات والنقل: الجمل والبغل والفرس ، فأولى بها ان تتوحد اليوم ، وهـــذه الوسائل اصبحت : القطار والسيارة والطيارة .

واما الاعتراض الاول ، فجوابنا عنه ، هو بان نضع أمام القارىء جملة « شكل الكيان العربي القومي الموحد المستقل »

(١) راجع الصفحة ٦١ - ٦٣ .

الذي نكثر من ذكره وندعو اليه ؛ ونجاهد في سبيله بايمان وإخلاص وهذا هو شكل هذا الكيان بالجملة :

تبقى هذه الدول التي يشيرون اليها – الا ان تشاء واحدة منها الاندماج التام في الاخرى – وعلى رأس كل منها رئيسها ، فليس من حاجة الى انهيار عرش وزوال سلطان ، ولكنها تتفق جميعها على ما يلي :

اولاً – الغاء الحواجز الجمركية وجوازات السفر .

ثانياً – توحيد مناهج التعليم والتربية القومية استناداً الى اوضاع كل قطر .

ثالثاً – توحيد المناهج العسكرية ، وتوحيد قيادة الجيوش عند الحاجة .

رابعاً – توحيد النقد وأدوات القياس والوزن والكيل .

خامساً – توحيد التمثيل السياسي الخارجي والدفاع .

سادساً – توحيد الجنسية – رسمياً – مع الاشارة الى كل قطر ، اذا شاء ، كأن يقال مثلا (عربي عراقي ، عربي يمني ، عربي مصري الى آخره) .

سابعاً – توحيد الراية مع اشارة ترمز الى كل قطر ، ان شاء .

ثامناً – تعيين ما يمكن ان ينتجه كل قطر من هذه الاقطار ، صناعياً وزراعياً ، استناداً الى استعداده والى حاجة المجموع ، لتتم الوحدة الصناعية والزراعية ، وتنتفي اسباب المضاربة والفوضى في الانتاج لمصلحة الجميع .

ويدير هذا الكيان مجلس اعلى ، على ان يبقى لكل قطر استقلال داخلي، في ادارة تستوحي من حالات اهله ، وقوانين تتفق مع وضعهم الاجتماعي والاقتصادي وغيره مما يحفظ لكل قطر شخصيته ، ان شاء .

هذا هو، جملة ، شكل الكيان العربي الذي نريده ،والذي سيقوم حتماً ، رغم ما هنالك من مظاهر قد يتوهمون انها عقبات كأداء ، ورغم ما يبدو من سلطان لبعض دول غربية وغيرها على بعض اجزاء الوطن العربي .

قد يقول ناس ليس هذا وحدة ، وانما هو اتحاد . فليكن . فان الذي نرمي اليه ، انما هو بعث الامة العربية في مختلف اقطارها ، وانشاء مجموعة من هذه الاقطار محترمة ،تكون وطناً واحداً قوياً نافعاً ، يستمد قوته من اهل هذه الاقطار كلها ، باعتبار انهم امة واحدة ، تكافح مجتمعة في سبيل البقاء، وفي سبيل المجد والخير ، على اساس انها وارثة العنصر العربي المجيد الصالح للبقاء . وانها تحمل رسالة عظيمة ، ينبغي لها ان تؤديها على احسن وجه واكمله في العالم كله ، بالاشتراك مع اية امة مهيأة لمثل هذا ، من مختلف نواحي الحياة ، سواء أكان الشكل وحدة ام اتحاداً . ولعلّ « الاتحاد » كما حددناه افضل الان . ولسنا في صدد شكل الحكم الان من ناحية تفصيلية ، فالامر الرئيسي الحيوي الملح ، الذي لا يمكن ان نستغني عنه ، اذا كنا نشعر بوجودنا حقيقة ونحترم نفوسنا ، هو في الدرجة

الاولى ، انشاء هذا الكيان الذي حددنا شكله جملة . والذي سننشئه حتماً ؛ ليس فقط لما يترتب عليه من منافع اقتصادية واجتماعية وسياسية عامة للعرب كلهم ، بل لانه هو في حد نفسه ، امر ، من غير الطبيعي ان لا يكون . ولانه ؛ انما يعني اتحاد افراد عائلة واحدة من المحتّم المفروغ منه ؛ ان يقع ، من دون ان يُشترط لذلك اي شرط .